

حياة أعظم الرسل

محمد يدخل مكة

محمّد يدخل مَكَّةَ

مَرَّتِ السَّنَةُ الَّتِي اتَّفَقَ عَلَيْهَا فِي مُعَاهَدَةِ
الْحُدَيْبِيَّةِ ، وَأَصْبَحَ لِلْمُسْلِمِينَ الْحَقُّ فِي
دُخُولِ مَكَّةَ ، وَزِيَارَةِ الْكَعْبَةِ ، وَأَدَاءِ الْفَرِيضَةِ .
وَكَانَ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ فِي شَوْقٍ إِلَى
زِيَارَةِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ . فَنَادَى الْمُصْطَفَى
بِالِاسْتِعْدَادِ لِلسَّفَرِ إِلَى مَكَّةَ . وَأَجَابَ النِّدَاءَ
أَلْفَانِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَحَمَلَ كُلُّ سَيْفِهِ فِي
قِرَابِهِ . وَرَكِبَ مُحَمَّدٌ نَاقَتَهُ ، وَتَقَدَّمَ هُمْ

لِزِيَارَةِ أُمِّ الْقُرَى — وَهِيَ مَكَّةُ — . وَأَخَذَ
كُلُّ مُسْلِمٍ يَذْكُرُ لِمَنْ مَعَهُ أَيَّامَ طُفُولَتِهِ بِهَا ،
وَمَا ضَحَّى مِنْ الْمَالِ بِسَبَبِ هِجْرَتِهِ مِنْهَا .
وَعَرَفَتْ قُرَيْشٌ بِمَجِيءِ مُحَمَّدٍ
وَأَصْحَابِهِ إِلَى مَكَّةَ ، فَتَرَكَتْهَا وَخَرَجَتْ
وَأَقَامَتِ الْخِيَامَ فِي التَّلَالِ الْقَرِيبَةِ مِنْهَا
— لِلْمُكْتِ بِهَا مُدَّةَ الْأَيَّامِ الثَّلَاثَةِ . وَأَخَذُوا
يَنْظُرُونَ نَظْرَةَ إِعْجَابٍ — إِلَى الرَّسُولِ الَّذِي
طَرَدُوهُ ، وَهُوَ يَقُودُ الْمُسْلِمِينَ عِنْدَ دُخُولِ
مَكَّةَ ، وَرَأَوْهُمْ وَهُمْ جَمِيعًا أَمَامَ الْكَعْبَةِ ،
يُنَادُونَ بِصَوْتٍ وَاحِدٍ ، وَقُلُوبٌ مُؤْمِنَةٌ

مُتَّجِهَةً إِلَى اللَّهِ : « لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ » (١) . طَافَ
الرَّسُولُ بِالْكَعْبَةِ ، وَالْمُسْلِمُونَ وَرَاءَهُ
يَطُوفُونَ وَيُرَدِّدُونَ مَا يَقُولُ : لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ
لَبَّيْكَ . لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ . نَصَرَ عَبْدَهُ .
وَأَعَزَّ (٢) جُنْدَهُ . وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ .
وَأَتَمَّ مُحَمَّدٌ وَمَنْ مَعَهُ فَرَائِضَ الْعُمْرَةِ (٣) .

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي دَخَلَ الرَّسُولُ الْكَعْبَةَ ،
وَمَكَثَ بِهَا إِلَى صَلَاةِ الظُّهْرِ ، وَأَذَّنَ بِلَالٍ
لِلصَّلَاةِ ، وَصَلَّى النَّبِيُّ بِالْفَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ

(١) نَحْنُ مُطِيعُونَ لَكَ . (٢) نَصَرَهُمْ .

(٣) زِيَارَةُ الْكَعْبَةِ وَمَا تَلَبُّهُ مِنْ عِبَادَاتٍ .

آمِنِينَ . وَأَقَامَ الْمُسْلِمُونَ بِمَكَّةَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ،
وَزَارَ الْمُهَاجِرُونَ دُورَهُمُ الَّتِي تَرَكُوهَا ؛
وَأَخَذَ الرَّسُولُ يَتَنَقَّلُ بَيْنَهُمْ ، وَيَتَحَدَّثُ
مَعَهُمْ . وَأَهْلُ قُرَيْشٍ يُطْلُونَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ،
وَيَرَوْنَهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ خَلْفَ الرَّسُولِ ،
وَيُعْجَبُونَ بِهِمْ ، وَالْأَقْوِيَاءُ مِنْهُمْ يُسَاعِدُونَ
الضُّعَفَاءَ ، وَالْأَغْنِيَاءُ يُحْسِنُونَ إِلَى الْفُقَرَاءِ .
وَكُلُّهُمْ لَا يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ ، وَلَا يَعْبُونَ اللَّهَ .

أَثَرَتْ هَذِهِ الْمَنَاظِرُ فِي نُفُوسِ
الْمُشْرِكِينَ ^(١) كُلِّ التَّأْثِيرِ ، وَتَرَكَتْ زِيَارَةُ

(١) الْكُفَّارِ .

مُحَمَّدٍ لِلْكَعْبَةِ أَكْبَرَ الْأَثَرِ فِي قُلُوبِ قُرَيْشٍ .
وَبَعْدَ انْقِضَاءِ هَذِهِ الْأَيَّامِ الثَّلَاثَةِ الْمُتَّفَقِ
عَلَيْهَا تَرَكَ مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ مَكَّةَ ، وَسَافَرُوا
جَمِيعًا إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ .

إِسْلَامُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ :

وَبَعْدَ أَنْ تَرَكَ مُحَمَّدٌ مَكَّةَ ، وَقَفَ خَالِدُ
ابْنُ الْوَلِيدِ يَقُولُ لِلْمُشْرِكِينَ : « لَقَدْ اسْتَبَانَ
(ظَهَرَ) لِكُلِّ عَاقِلٍ أَنَّ مُحَمَّدًا لَيْسَ بِسَاحِرٍ ،
وَلَا شَاعِرٍ ، وَأَنَّ كَلَامَهُ مِنْ كَلَامِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ . فَوَجَبَ عَلَى كُلِّ صَاحِبِ عَقْلٍ أَنْ

يُؤْمِنَ بِمَا يَدْعُو إِلَيْهِ .

وَعَارَضُوهُ فِي رَأْيِهِ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَهْتَمَّ
بِأَقْوَالِهِمْ ، بَعْدَ أَنْ ظَهَرَ لَهُ الْحَقُّ . وَأَرْسَلَ
إِلَى النَّبِيِّ يُقَرِّئُ لَهُ بِأَنَّهُ أَسْلَمَ . وَأَرَادَ الْكُفَّارُ أَنْ
يَقْتُلُوهُ . فَقَالَ أَحَدُهُمْ : أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقْتُلُوا
خَالِدًا مِنْ أَجْلِ رَأْيٍ رَأَاهُ . إِنِّي وَاثِقٌ أَنَّهُ لَنْ
تَمُضِيَ سَنَةٌ حَتَّى يَتَّبَعَ أَهْلُ مَكَّةَ كُلُّهُمْ
مُحَمَّدًا فِي دِينِهِ . وَأَسْلَمَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ
بَعْدَ خَالِدٍ . وَسُتْسِلِمُ قُرَيْشٌ كُلُّهَا بَعْدَ شُهُورٍ
بِإِرَادَةِ اللَّهِ .

قُرَيْشٌ تُنْقِضُ الْمُعَاهِدَةَ :

نَقَضَتْ قُرَيْشٌ عَهْدَ الْحُدَيْبِيَّةِ ، فَقَتَلَ بَنُو
بَكْرِ رِجَالًا مِنْ مُسْلِمِي خُزَاعَةَ ، فَشَكَتْ
خُزَاعَةُ إِلَى النَّبِيِّ ، فَرَأَى النَّبِيُّ أَنَّ مَا قَامَتْ بِهِ
قُرَيْشٌ مِنْ نَقْضِ الْعَهْدِ لَا مُقَابِلَ لَهُ إِلَّا فَتْحُ
مَكَّةَ . فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ إِلَى الْمُسْلِمِينَ فِي شِبْهِ
الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ لِيَسْتَعِدُّوا لِلرَّحِيلِ وَلَمْ يَذْكُرْ
لَهُمُ الْغَرَضَ .

خَافَ كِبَارُ قُرَيْشٍ بَعْدَ أَنْ نَقَضُوا الْعَهْدَ ،
وَأَرْسَلُوا أَبَا سُفْيَانَ لِتَشْبِيتِ الْمُعَاهِدَةِ ،

فَذَهَبَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَتَوَجَّهَ إِلَى بَيْتِ ابْنَتِهِ أُمِّ
حَبِيبَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ، وَزَارَهَا ، وَأَرَادَ أَنْ يَجْلِسَ
عَلَى فِرَاشِ النَّبِيِّ فَطَوَّئَتْهُ . فَسَأَلَهَا أَبُوهَا عَنْ
السَّبَبِ فِي طَيِّ الْفِرَاشِ .

فَأَجَابَتْ : هُوَ فِرَاشُ رَسُولِ اللَّهِ وَأَنْتَ
مُشْرِكٌ نَجِسٌ ، فَلَمْ أَرِدْ أَنْ تَجْلِسَ عَلَيْهِ .
فَخَرَجَ أَبُوهَا وَهُوَ غَاضِبٌ . وَقَابَلَ الرَّسُولَ
وَكَلَّمَهُ فِي مُعَاهَدَةِ الصُّلْحِ وَتَثْبِيتِهَا ، فَلَمْ يَرُدَّ
عَلَيْهِ النَّبِيُّ بِشَيْءٍ .

أَخْبَرَ أَبُو سُفْيَانَ قُرَيْشًا بِمَا حَدَثَ ،
وَأَخَذَتْ قُرَيْشٌ تَتَشَاوَرُ فِي الْأَمْرِ . وَأَخْبَرَ

رَسُولُ اللَّهِ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ بِمَا عَزَمَ عَلَيْهِ .
فَقَالَ لَهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَلَيْسَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ
قُرَيْشٍ عَهْدٌ ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ : بَلَى (نَعَمْ) .
وَلَكِنَّهُمْ غَدَرُوا وَنَقَضُوا الْعَهْدَ .

وَاحْتَفَظَ الرَّسُولُ بِالْخُطَّةِ حَتَّى لَا يَنْتَشِرَ
الْخَبْرُ ، وَتَعَلَّمَ قُرَيْشٌ ، فَتَسْتَعِدُّ لِلْحَرْبِ
وَالرَّسُولُ لَا يُرِيدُ حَرْبًا بِمَكَّةَ ، وَلَا يُحِبُّ أَنْ
تُمْسَّ حُرْمَتُهَا ، وَيُرِيدُ أَنْ يُسَلِّمَ أَهْلَهَا مِنْ
غَيْرِ أَنْ تُرَاقَ نُقْطَةٌ مِنَ الدِّمِّ . فَدَعَا اللَّهَ وَقَالَ
« اللَّهُمَّ خُذِ الْعُيُونَ ^(١) وَالْأَخْبَارَ عَنْ قُرَيْشٍ

حَتَّى تَبْغَتْهَا (١) فِي بِلَادِهَا . وَلَا تَعْلَمَ شَيْئًا مِنْ
 أَمْرِنَا . وَاسْتَعَدَّ الْمُسْلِمُونَ ، وَأَخْبَرَهُمُ الرَّسُولُ
 أَنَّهُ ذَاهِبٌ إِلَى مَكَّةَ . وَتَحَرَّكَ الْجَيْشُ وَعَدَدَهُ
 عَشْرَةُ آلَافٍ مِنَ الْمُجَاهِدِينَ ، وَفِي مُقَدِّمَتِهِمْ
 مُحَمَّدٌ الْعَظِيمُ ، وَهُوَ يُفَكِّرُ فِي أَمْرٍ وَاحِدٍ هُوَ
 أَنْ تُفْتَحَ مَكَّةُ ، وَيُطَهَّرَ الْبَيْتُ الْحَرَامُ مِنْ
 الْأَصْنَامِ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُرَاقَ قَطْرَةٌ وَاحِدَةً مِنَ الدَّمِ .
 سَارَ الْمُسْلِمُونَ وَهُمْ مُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ ،
 وَانْضَمَّ إِلَيْهِمْ فِي الطَّرِيقِ كَثِيرٌ مِنَ الْقَبَائِلِ ،
 وَقَرَّبُوا مِنْ مَكَّةَ ، وَلَمْ تَعْلَمْ قُرَيْشٌ مِنْ أَمْرِهِمْ

(١) تَفَاجَتْهَا وَتَلَقَّاهَا فَجَاءَةً .

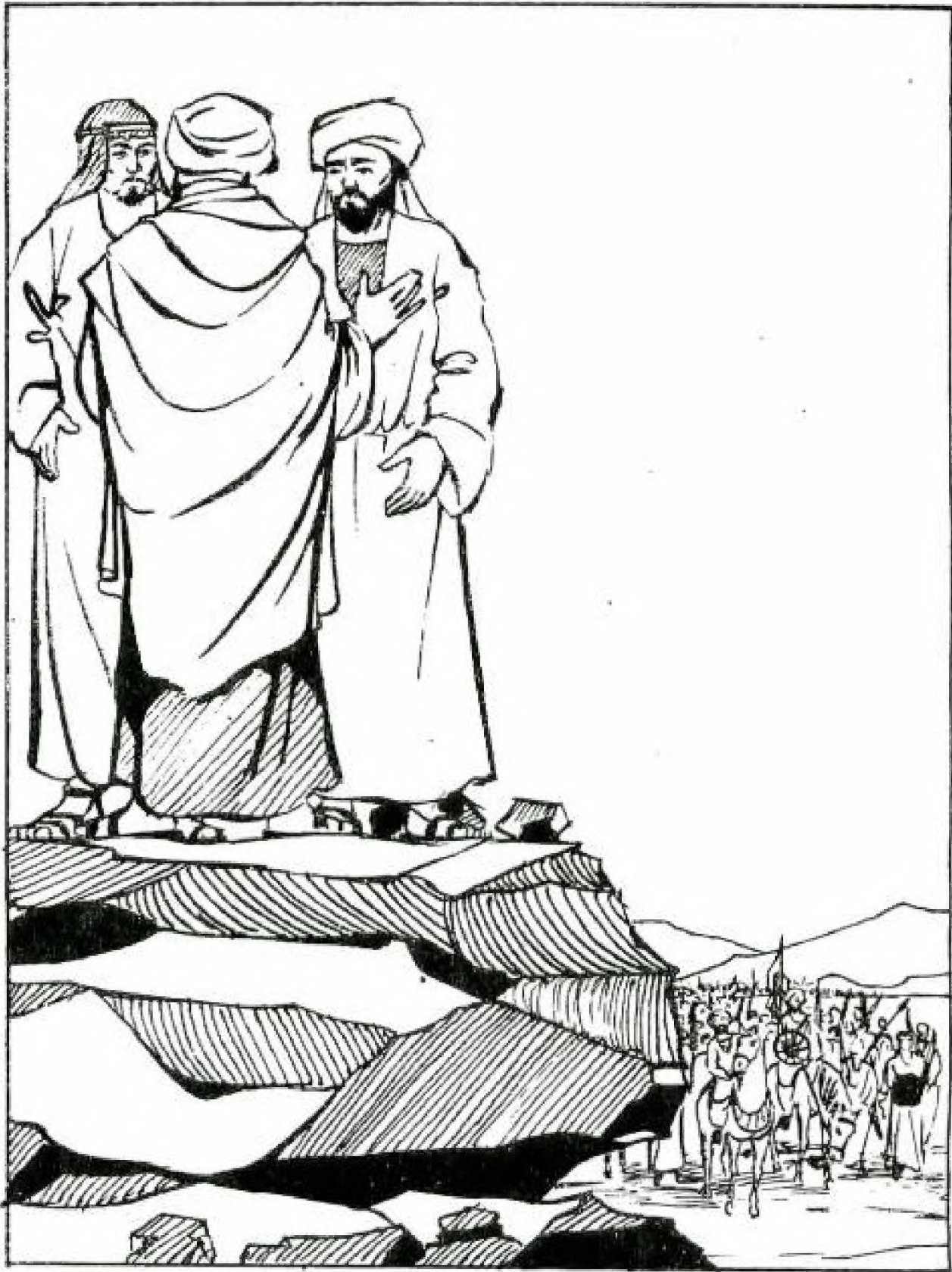
شَيْئًا ، وَكَانَتْ فِي جَدَلٍ مُسْتَمِرٍّ ، وَتَفَكِيرٍ
فِيمَا تَفَعَّلُ حَتَّى لَا يَهْجُمَ عَلَيْهَا مُحَمَّدٌ .
وَأَجَابَ اللَّهُ دُعَاءَ الرَّسُولِ .

أَحَسَّ بَنُو هَاشِمٍ بِخُرُوجِ النَّبِيِّ إِلَى مَكَّةَ ،
فَخَرَجُوا لِمُقَابَلَتِهِ ، فَعَطَفَ عَلَيْهِمْ ، وَعَفَا
عَمَّنْ أَسَاءَ إِلَيْهِ مِنْهُمْ ، وَقَبِلَ إِسْلَامَهُمْ .

وَتَرَكَ الْعَبَّاسُ عَمَّ النَّبِيَّ قَرِيشًا فِي جَدَلِهِمْ
وَمُنَاقَشَتِهِمْ ، فَقَابَلَ مُحَمَّدًا فِي الطَّرِيقِ ،
فَأَمَرَهُ أَنْ يَرْجِعَ مَعَهُ إِلَى مَكَّةَ ، وَيُرْسِلَ
أَوْلَادَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ . وَأَسْلَمَ الْعَبَّاسُ وَلَكِنَّهُ
خَافَ أَنْ تُدْمَرَ (تُخْرَبَ) مَكَّةُ إِذَا هَجَمَ

عَلَيْهَا هَذَا الْجَيْشُ الْقَوِيُّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ .
وَتَأَكَّدُ مِنْ أَنَّهُ لَنْ تَسْتَطِيعَ أَيُّ قُوَّةٍ فِي بِلَادِ
الْعَرَبِ أَنْ تَقِفَ أَمَامَهُ . فَسَأَلَ الرَّسُولُ : مَاذَا
تَفْعَلُ إِذَا طَلَبْتَ قُرَيْشَ مِنْكَ الْأَمَانَ ؟ فَسَرَّ
الرَّسُولُ ، وَجَعَلَ عَمَّهُ سَفِيرًا لِيَصِفَ لِقُرَيْشِ
قُوَّةَ هَذَا الْجَيْشِ ، حَتَّى يُدْخَلَ الرُّعْبَ
(الْخَوْفَ) فِي قُلُوبِ الْكُفَّارِ ، فَيَدْخُلَ
الرَّسُولُ وَأَصْحَابُهُ مَكَّةَ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُرَاقَ
نُقْطَةٌ مِنَ الدِّمِّ ، وَتُسْتَمِرَّ مَكَّةُ حَرَامًا كَمَا
كَانَتْ وَكََمَا يَجِبُ أَنْ تَكُونَ .

رَكِبَ الْعَبَّاسُ ، وَأَخَذَ يَبْحَثُ عَنْ مَكِّيٍّ



أَبُو سُفْيَانَ يَتَكَلَّمُ عَنْ قُوَّةِ جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ .

ذَاهِبِ إِلَى مَكَّةَ ، لِيُرْسِلَ إِلَى أَهْلِهَا رِسَالَةً
يَصِفُ فِيهَا مَا رَأَاهُ مِنْ شَجَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ
وَقُوَّةِ جَيْشِهِمْ ؛ كَيْ يَطْلُبُوا مِنَ الرَّسُولِ
الْأَمَانَ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَهَا عَلَيْهِمْ عَنُودٌ وَقَهْرًا .
وَكَانَتْ قُرَيْشٌ قَدْ بَلَغَهُمْ أَنَّ مُحَمَّدًا زَا حِفٌّ
بِجَيْشٍ عَظِيمٍ لَا تُعْرَفُ وَجْهَتُهُ ، فَأَرْسَلُوا
أَبَا سُفْيَانَ وَبَعْضَ الْفُرْسَانِ . فَرَأَاهُمُ الْعَبَّاسُ
وَأَخْبَرَهُمْ بِمَا رَأَى ، وَأَخَذَ أَبَا سُفْيَانَ إِلَى
النَّبِيِّ . وَرَأَى أَبُو سُفْيَانَ قُوَّةَ جَيْشِ
الْمُؤْمِنِينَ . وَتَأَكَّدَ مِنْ أَنَّ قُرَيْشًا لَا طَاقَةَ لَهَا
بِهِ . فَانْطَلَقَ إِلَى قَوْمِهِ بِمَكَّةَ صَائِحًا :

يَا مَعْشَرَ (جَمَاعَةً) قُرَيْشٍ ، هَذَا مُحَمَّدٌ قَدْ
جَاءَكُمْ فِيمَا لَأَطَاقَةَ (قُدْرَةً) لَكُمْ بِهِ .

سَارَ مُحَمَّدٌ بِجَيْشِهِ ، وَرَأَى أَنَّ مَكَّةَ
لَا تُقَاوِمُ ، فَدَخَلَ الرَّسُولُ وَالْمُسْلِمُونَ فِي
صُبْحِ الْجُمُعَةِ ٢٠ مِنْ رَمَضَانَ . وَدَخَلَ
الْكَعْبَةَ ، وَكَبَّرَ فِي تَوَاحِيهَا ، وَطَافَ بِهَا
سَبْعًا ، وَحَطَّمَ ٣٦٠ صِنْمًا كَانَتْ حَوْلَهَا
وَهُوَ يَقُولُ : « وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ،
إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا . » ثُمَّ جَلَسَ فِي
الْكَعْبَةِ ، وَقُرَيْشٌ يَنْتَظِرُونَ مَا هُوَ فَاعِلٌ بِمَنْ
عَذَّبُوهُ وَتَأَمَّرُوا عَلَى قَتْلِهِ ، وَأَخْرَجُوهُ مِنْ

بِلَادِهِ ، فَسَأَلَهُمْ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، مَا تَظُنُّونَ
أَنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ ؟ فَقَالُوا : خَيْرًا ، أَنْتَ أَخٌ
كَرِيمٌ وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ . فَقَالَ الرَّسُولُ :
إِذْهَبُوا فَإِنَّكُمْ الطَّلَقَاءُ (أَحْرَارٌ) .